القسم الأول

في العقيدة والمعتقد

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

العقائد في التاريخ

obeikandl.com

obeikandl.com

العقائد في التاريخ

لا شك أن عقائد البشر في الأرض لا يمكن حصرها بشكل تفصيلي واسع، فكل أمة في هذه المعمورة لها عقائدها، ومعتقداتها. وعبر التاريخ وجدت عقائد لم نعرف عنها إلا النزر القليل، وبعضها الآخر لم نعلم عنه شيئاً.

وقد ذكر معظم علماء التاريخ والأديان ما وصل إليهم من العقائد الكبرى، التي انتشرت بين ملايين البشر، وأصبحت تعاليمها وأتباعها، في متناول البحث، وقد تصدى لدراستها كثيرون من المهتمين والمتخصصين. وسلطوا الأضواء على تاريخ نشأتها، وعلى تعاليمها وتطورها منذ أن بدأت، وحتى انتشارها بشكل واسع، وتواجد أتباعها حتى هذا اليوم.

ولسنا هنا بصدد دراسة هذه العقائد، وتحليل ما فيها من تعاليم ومعتقدات وعبادات إنما الذي يعنينا من هذه الدراسة، معرفة علاقة هذه العقائد بالوثنية والتوحيدية أو بمعنى آخر، علاقة هذه العقائد بالإله إن كان إلهاً واحداً أو عدة آلهة، وعلاقتها بالقوة الغيبية إن وجدت، إضافة لأهم قضايا العقيدة، كالموت والبعث والروح والحساب، وما إلى ذلك.

وبسبب كون الموضوع يرتبط بدراسة العقيدة اليهودية، على ضوء معطيات التوراة والقرآن الكريم، فإن إلقاء الضوء على عقائد الإنسانية الأخرى، يمنحنا بعض التعرف على مفاهيم عقيدية، قد تتقاطع مع اليهودية أو لا تتقاطع، وعندها فقط يمكن التعرف على ما إذا كان هناك تأثرٌ وتأثيرٌ، وأخذ وعطاء بين العقائد جميعها وعندها أيضاً يمكن التعرف على تقدّم عقائد وتأخُّر أخرى، حسب التسلسل الزمني التاريخي لوجود هذه العقائد.

ويحكمنا في هذه الإضاءة عدة أمور، لا يمكن إغفالها أو الإقلال من أهميتها:

1 ـ اتساع المساحة الجغرافية لكل عقيدة أو محدوديتها جغرافياً .

2 ـ عمق المساحة التاريخية لكل عقيدة. انقطاعها أو تواصلها .

3 ـ علاقة هذه العقيدة بالوحدانية أو التعددية، والتجريد والتجسيم.

4 ـ نقاء هذه العقيدة أو امتزاجها بعقائد أخرى

5 ـ طبيعة الظروف التي انتشرت بها العقيدة، والكيفية التي من خلالها تم نشرها والدعوة لها .

وكنماذج لهذه العقائد حسب الأمور التي طرحناها، نجد أمامنا عقائد المنطقة العربية القديمة، وعقائد بلاد فارس، وعقائد الهند الكبرى، والعقائد الصينية. وبعض العقائد لدى الحضارات التي كُشِف عنها حديثاً في أمريكا. وأفريقيا ويمكن حصر هذه العقائد بما يلي :

1 ـ عقيدة البابليين والآشوريين والكنعانيين، وحضارة المنطقة العربية، عقائد الفراعنة.

2 ـ الزرادشتية، والمانوية، والمجوسية .

3 ـ الهندوسية (البراهمية). البوذية. والجانتية .

4 ـ الكونفوشوسية .

5 ـ عقائد الهنود الحمر في أمريكا .

6 ـ عقائد الشعوب الأفريقية والأسترالية القديمة .

لقد جاءت أكثر الدراسات المتخصصة بالشرق القديم، على معظم ما كان لدى الشعوب في ما بين النهرين، من عقائد وديانات ومعتقدات، واستندت جميعها على آلاف اللوحات الفخارية والرقم المكتشفة في مناطق تواجد شعوب تلك الحضارات. وأصبح لدى الباحث مواد غنية ووفيرة، سيما أن تلك الكتابات ترجمت كثيرا إلى أكثر من لغة.

وقد ركز العلماء والآثاريون والباحثون في الشرق القديم على تناول السومريين ومعتقداتهم، كأقدم مجموعة بشرية أنشأت حضارة في الماضي، ثم سقطت الحضارة السومرية أو انهارت في ظل بروز قوة البابليين. ما بين النهرين، وخلفت وراءها آثاراً كتابيةً. وعلى الرغم من أن جميع الباحثين يتفقون على أن السومريين ليسوا شعباً سامياً أو عربياً، إلا أن وجودهم في المنطقة العربية، جعل الباحثين يدرجونهم ضمن حضارات هذا الحوض العربي الكبير، ولسبب آخر أيضاً هو قولهم: بأن البابليين والآشوريين استندوا في معتقداتهم وأساطيرهم على عقائد وأساطير السومريين ومعتقداتهم.

ترتكز الأفكار الدينية عند السومريين على تصور متعدد الجوانب للآلهة. فهم يرون أن الإله (آن) هو إله السماء، وهو الحاكم الأسمى والإله الرئيسي. ويرون أن هذا الإله تزوج من (كي) وهي الأرض، ثم انجبا بقية الآلهة. ومن أهم المعتقدات الدينية لديهم، اعتقادهم أن الكون كان في الأساس البحر ثم انبثق من البحر الشمس والقمر والكواكب والنجوم، ثم النبات، والحيوان، والإنسان أو الحياة البشرية.

لكن السومريين اعتقدوا أن الآلهة تتصرف كالبشر، فهي تأكل وتشرب وتنام وتتزوج (لكنها خلاف البشر خالدة، وقد احتفظت للبشر بالموت، وأبقت الحياة في يدها)[1].

ويجتمع لدى المعتقدات السومرية مجمع آلهة كثيرة، كإله الغلاف الجوي والرياح (إنليل) ويقال لديهم: إن هذا الإله، يمسك بيده ألواح القدر، التي سطرت فيها أقدار الناس جميعا. وهناك أيضاً الإلهة (إنانا)سيدة السماء والإله (إنكي) أو (أيا) إله العالم السفلي، أو إله الأعماق.

ويظهر من ذلك أن التعددية والتجسيمية، أو المزج بين الصفات البشرية

---

(1) جفري بارندر. المعتقدات الدينية لدى الشعوب. ترجمة إمام عبد الفتاح إمام. عالم المعرفة ص 12.

والإلهية كانت مسيطرة على التفكير العقيدي لدى السومريين.

وهذا ما سنجده عند معظم عقائد الشعوب التي سكنت المنطقة أو استوطنت فيها فيما قبل الميلاد.

وقد توارث البابليون المعتقدات والعقائد السومرية، بعد أن سقطت الحضارة السومرية أو انهارت في ظل بروز قوة البابليين.

ويبرز الإله مردوخ (مردك) أو المريخ كأهم الآلهة التي عبدها البابليون. وقد أقام له البابليون معبدا، أطلق عليه (الإيزاجيل) أي المعبد الذي تناطح ذروته السماء. وللإله مردوخ زوجة، يطلق عليها (صربنيتو) وهي مختصة بالحمل والإنجاب. وتقول الألواح البابلية: إن مردوخ أخذ موافقة بقية الآلهة، إنْ هو قضى على (تعامت) إلهة العالم السفلي، أن ينصب كبيرا للآلهة. ويتم له ذلك حيث تقول الأسطورة: إنه قسمها بسيفه إلى نصفين، ثم نُصِّب كبيراً للآلهة البابلية وصار يتصرف نيابة عن تلك الآلهة. وكانت تُوجه إلى هذا الإله الصلوات والتراتيل التي تمجِّد صفاته، ومنجزاته.

وترى الأسطورة أن الآلهة (تعامت) أوتيمات، اتخذت الإله (كينغو) زوجاً لها وقائداً لجيوشها في حربها مع (مردوخ) وبعد أن قتلها مردوخ وسجن زوجها خلق الإنسان من دماء السجين (كينغو) بعد أن قتله، وأفرج عن بقية الأسرى، كما خلق النباتات والحيوانات[1].

وتقول الأسطورة البابلية: التفت مردوخ بعد ذلك إلى بقية عمليات الخلق، فخلق النجوم محطات راحة للآلهة، وصنع الشمس والقمر، وحدد لهما مسارهما. ثم خلق الإنسان. ونظم الآلهةَ في فريقين، جعل الفريق الأول في السماء، وهم الأنونانكي والثاني جعله في الأرض وما تحتها وهم (الأجيجي) "1" وبعد الانتهاء من عملية الخلق، يجتمع الإله مردوخ بجميع الآلهة، ويحتفلون بتتويجه سيدا للكون. ثم بنوا مدينة بابل،

---

(1) المعتقدات الدينية لدى الشعوب. ص 22 سبق ذكره

ورفعوا له وسطها معبداً، وأعلنوا في هذا الاحتفال، أسماء مردوخ الخمسين.

فمن خلال الأسطورة البابلية، نرى أن البابليين، اعتمدوا التعددية في عبادة الآلهة، ونلاحظ تشابهاً واضحاً بين أعمال الآلهة وأعمال الإنسان. فالآلهة أشبه بالملوك والأمراء، حتى إنها تفتقد إلى الخلود. وهذا عائد إلى مرحلة ضعف حضارتها فهي في طور الضعف تصبح أقل قيمة وارتباطا من قبل الإنسان بها.

وعلى الرغم من ذلك نجد أن هناك كبيراً للآلهة. بمعنى أن هناك ملكاً يحكم حاشية. فمردوخ سيد آلهة بابل، ولكنه لا يعيش بمفرده، بل إلى جانبه عدد كبير من الآلهة التي تعاونه في عمليات الخلق والكون وما إلى ذلك.

ويلاحظ أن كتابة الأسطورة البابلية تتوافق مع سيادة بابل على وادي الرافدين والمناطق المتحضرة الجديدة. والسيادة العسكرية تتبعها سيادة ثقافية دينية تثبتها وتمد في عمرها. فكانت الأسطورة وسيلة لنشر الديانة البابلية، وتثبيتا لعبادة إلهها ـ مردوخ ـ الذي ساد الآلهة جميعها، وتفوق على آبائه وأقرانه[1]. . وترى الأسطورة البابلية أيضاً أن الإلهة (مامي) أو كما تدعى أيضاً (تنماخ) أو ننخر ساج أو ننتو. وهي صاحبة الخلق الأول، وهي الأم الكبرى. ويقصدون بها الأرض والتربة الخصبة. ويقابلها عند الكنعانيين ـ عشيرة ـ فكل الثقافات القديمة عبدت آلهة أنثى كبيرة. وهي الأرض الأم التي كانت مركزا للحياة الروحية)[2].

أما العقائد الكنعانية: فترى أن هناك مجمعا إلهياً، على رأسه يقف الإله (إيل) وفي هذا المجمع ـ الإله بعل، والإلهة عشيرة، والإلهة عناة وبعض الآلهة الصغيرة. تصف ألواح أوغاريت الإله إيل بكبير الآلهة ورب السماء، يعتلي عرشه في السماء السابعة. أما الإله بعل فهو الإله ـ حدد ـ وهو إله المطر والسحاب والصاعقة. تقول المعتقدات الأسطورية الكنعانية: إن الإله إيل جاء نتيجة تزاوج

---

(1) فراس السوّاح. مغامرة العقل الأولى المستندة على ترجمة الكسندر هيدل وترجمة سبنسر ص 44

(2) فراس السوّاح. مغامرة العقل الأولى ص 76 ـ 77 سبق ذكره.

الإله عليون والإلهة عشتروت. وتقول بعضها أيضاً إن إله السماء تزوج بإلهة الأرض. فأنجبت له أربعة أولاد، وهم الإله إيل والإله داجون. والإله عتل والإله سيتون. وعندما بلغ إيل مبلغ الرجال، اتخذ الإله ـ توت ـ كاتبا له وكاتما لأسراره، ثم أشعل إيل حرباً ضد أبيه لأنه أهان أمه الأرض. وتعني كلمة إيل القدرة والقوة. ويعتبر إيل أعظم آلهة الشعوب العربية القديمة. وعُرف أيل برب الأرباب. أو إيل إيلوهيم. ويقال: أنه كان لإيل ابن وحيد يدعى شديدا توهم فيه الغدر يوما فذبحه.

وتقول الأسطورة: إن إله السماء أي والد إيل سئم حربه مع ابنه فبعث إليه ببناته الثلاث. عشتروت. وسميرنا. وبعلكي، كي يوقعهن به لكن إيل استمالهن وتزوجهن وولد لإيل من عشتروت سبع بنات، ـ يعرفن في الأساطير الكنعانية بالترابيات ـ كما أنه أنجب من سميرنا سبعة ذكور. ثم أنجب من عشتروت إلهين آخرين هما الشوق والعشق[1].

تقول الأسطورة الكنعانية أيضاً: إن إيل هو أول من تزوج بجنية، اسمها عين عفريت، وأنجب منها ولدا وحيدا. والشعب الكنعاني الذي يقدس إيل، لا يحترمه لصفاته المميزة فحسب، بل إنه يرى فيه إلها غير مشخص. وهو خالق السماوات والأرض وجميع البشر. وإيل يمثل الفكرة التوحيدية الأولى مثل الإله شمس. والإله إيل لا يحاور البشر كبقية الآلهة، بل يتجلى بشكل حلم أو وحي أو إلهام. وفي النصوص الأوغاريتية لم يظهر إيل للناس مشخصا، كما هو الحال عند بقية الآلهة، مثل بعل وعشيرة وعناة التي تتدخل بشؤون الناس وتظهر لهم.

وفي بعض تفاسير الأسطورة الأوغاريتية، جاء أن إيل أبو الآلهة، وهو يقيم في حقولهم عند منابع الأنهار. وقد دام حكمه الفعلي 32 عاما. ويرد أنه شاخ وعجز. ومن أهم صفاته أنه الأبدي، خالق المخلوقات، وأبو البشر والآلهة. وحتى يثبت أبديته لم يرد أنه مات أو فني.

---

(1) شوقي عبد الحكيم الفلكلور والأساطير العربية ص 64

وترى بعض النصوص الكنعانية أن للإله إيل 70 ولدا، 50 ذكرا و20 أنثى وأطلقوا عليه أحيانا صفة الرحمة والعظمة، ويعتبر الكنعانيون أنفسهم شعبه الخاص[1] ويتميز أيضاً بتوزيع المكرمات، كإهداء الندى والطل. كما أنه يجلب الموت بواسطة بعض أولاده، وله سلطان على بعث الأموات. ويظل المرجع الأساسي في حل مشاكل الآلهة وصراعاتهم، وبناء المعابد، ولا ينافسه أحد من الآلهة وهو الحاكم المطلق.

ويرى العلامة سيفر أن ما يسبغه الكنعانيون من نعوت التعظيم والتفوق فوق الجميع، يدل بوضوح على ميل الكنعانيين لتقبل عقيدة التوحيد[2].

ويعتبر الإله بعل، أهم الآلهة عند الكنعانيين بعد الإله إيل على الإطلاق. ويرد اسمه على شكل آخر هو الإله حدد. وهو إله زراعي معروف في الأسطورة الكنعانية، فهو يسوق الغيوم والأمطار والأنهار، ويرد عنه أيضاً أنه إله الصواعق والبرق، وله عظمة وقدرة، كرسيُّه فوق الغيوم، وينتقل عادة في مركبته، مما أعطاه لقب ممتطي الغيوم. وأحياناً يتلذذ بعذاب البشر، فيأمر بالأعاصير، ولا يتردد في النيل من الناس بيديه حتى أنه لا يتردد في مصارعتهم. وله أيضاً بعض الصفات المستمدة من الإله إيل. فمرة يُعتبر إلهَ الموت وله القدرة على إحياء الموتى وبعثهم، كما أن له سلطةً على إذلال الإنسان الحي. و يقال: إنه كان يُضحي بالبشر قرابينَ لهذا الإله. ويكلفه أبوه إيل بمصارعة قوى العماء والوحوش الضارية، فيتغلب عليها ثم يأخذ بخلق الكون أو تتمة خلقه.

ومن أهم معابد الكنعانيين معبد لبعل في مدينة نابلس، وقد عبده التوراتيون في مرحلة من المراحل وصلّوا له، وذلك في زمن القضاة. ويقال: إنه أقيم معبد للإله إيل بين القدس ونابلس، لكنه كان يغص بالأصنام والتماثيل التي ترمز للآلهة المعاونة لإيل الموصوف بالمحتجب.

---

(1)(2) ديل ميدكو. اللآلئ، نصوص من الكنعانية ترجمة مفيد عرنوق ص34، ص35.

أما الآلهة عند المصريين القدماء، فلديانتهم تاريخ طويل معقد. فقد مرت عبر التاريخ بتغيرات عديدة، وذلك بسبب عمق الحضارة الفرعونية، واتساع الرقعة التي تواجدوا فيها.

وجدت في مصر آلهة محلية، تخصصت بها المناطق المصرية، في الشمال والجنوب. ووجدت أيضاً آلهة عامة، تبناها المصريون وأصبحت في وقت من الأوقات آلهة بعض الشعوب المجاورة.

في الديانات المحلية سادت ديانة حوريس، الإله الصقر الذي توحد مع فرعون الحي. وقد ظهرت هذه الديانة بشكل عام، عندما انتصرت مصر السفلى على مصر العليا.

أما آلهة مصر الكبرى فقد بيّنت مسؤولية الخلق. فتقول الأسطورة الفرعونية إن الإله الخالق الأول هو أتوم (ATUM) الذي اتحد في هوية واحدة، مع إله الشمس (رع). وتقول الأسطورة: إن أتوم خرج من عماء المياه الذي يسمى (نون) (NUN). ثم ظهر فوق التل، وأنجب بغير زواج الإله (شو) الهواء ـ والإلهة تف توت أو تفنت ـ الرطوبة ـ والإله أتوم أتم نفسه بنفسه، أي خلق نفسه أولا، ثم خلق العالم، ومن صفاته (ذلك الذي جاء للوجود من تلقاء نفسه). أما الإلهة تفنت، فهي زوجة الإله ـ شو ـ. وقد عبدها المصريون على شكل الأسد وزوجته في الدلتا، وشاركت زوجها أعباء مهمته السلمية في حمل الأفق. وهذان الإلهان خلقا كما يدل اسمهما بطريقة البصق الأول، ويعني أتوم أيضاً الواحد الكامل. ومن آلهة المصريين، إله السماء نوت (NUT) والإله جب (GEB). وأوزوريس وإيزيس، وست ونفتيس.

ويظهر الإله بتاح (PTAH) خاصا بمدينة منف الذي يسمى في آن معا الأب والأم لكن عملية الخلق تعزى إلى الإله الصانع خنوم (KHNUM). وتقول الأسطورة: إنه يجلس إلى دولابه الفخاري ليصنع البشر. ثم أصبحت السيادة الإلهية للخصوبة والشمس، فلذلك عبدوا الإله شمس ـ رع ـ الذي اتحد مع الإله أتوم، في صيغة واحدة (رع أتوم)، ومع إله السماء حوريس الإله الصقر. وقد اصبح فرعون يسمى ابن الإله

-رع- ونظر المصريون إلى الإلهة -ماعت- على أنها ابنته.

أما آمون فتعني الخفي، لكن هذا الإله كان يتجلى في أشكال كثيرة. وقد ظهر التثليث الإلهي عند المصريين في مرحلة من المراحل. فقد جمع الإله بتاح وسخمت وتعزتم في ثالوث واحد. وكذلك جمع آمون وموت وفنسو في ثالوث ثان. وجمع بتاح وسوكاريس وأوزوريس في ثالوث ثالث.

(ومن الواضح أننا نجد هنا استباقا للعقيدة المسيحية حتى لو أعوزنا الدليل الذي يثبت أن لها تأثيرا معينا على الصياغة المسيحية[1]). وحسب كافة المصادر الآثارية والتاريخية، فان مصر الفراعنة، قد شهدت تطورا ملحوظا في مفهوم الإله. وأرجع بعضهم هذا التطور إلى تغير الوضع السياسي والكهنوتي لدى الفراعنة والشعب المصري بشكل عام. ويرى عباس محمود العقاد أن عبادة آتون هي أرقى ما وصل إليه البشر من عبادات التوحيد في القرن الرابع عشر قبل الميلاد. فلم يكن المراد بآتون قرص الشمس ولا نورها المحسوس بالعيون، ولكن الشمس نفسها كانت رمزا محسوسا للإله الواحد، المتفرد بالخلق في الأرض والسماء وإنما جاء هذا التطور بعد تمهيدات دينية وسياسية، تهيأت لمصر، ولم تتهيأ لغيرها من الدول الكبرى في تلك الفترة.

ويرى أيضاً أن الإله فتاح ارتفع طبقة أخرى في مدارج القدرة، والتنزه عن النظراء. فتعالى عن الأجساد الشاخصة للحس، وتمثل لعباده روحا مسيطرة على كل حركة، وكل سكون في جميع المخلوقات، من ذات حياة، وغير ذات حياة. فكان فتاح كما جاء في إحدى صلواته هو (الفؤاد واللسان للمعبودات. ومنه يبدأ الفهم والمقال، فلا ينبعث من ذهن ولا لسان فكر أو قول بين الأرباب أو الناس أو الأحياء أو كل ذي وجود إلا وهو من وحي فتاح)[2].

---

(1) جفري برندر. المعتقدات الدينية لدى الشعوب. ص 52 سبق ذكره.

(2) عباس العقاد. الله. دار المعارف المصرية ص: 68 عام 1964.

وما وجد شيء من الأشياء قط إلا بكلمة من لسانه صدرت عن خاطر في فؤاده فكلمته هي الخلق والتكوين.

وقد توطدت كهانة آمون في أيام المملكة الوسطى. وبلغت أوجها بعد عهد تحوتمس أكبر ملوك الأسرة الثامنة عشرة.

ومع اتساع النفوذ السياسي للفراعنة اتسع النفوذ الديني وأدى إلى تطور آخر في النظرة إلى الخالق، وأصبح ينتقل من بيئة محلية إلى بيئة عالمية. وعندما ارتقى عرش مصر، الفرعون أمنحوتب الرابع أو أخناتون كما تَسمَّى فيما بعد، كان التمهيد للعبادة الجديدة قد بلغ مداه. وكان اتساع الأفق في النظر إلى الدنيا، والنظر إلى صفات خالقها قد وسع له المجال للابتكار والتجديد. وأعان عبقريته على التدعيم بعد التمهيد.

وألغى أخناتون جميع الأرباب وأعوانهم، من الأرواح والأبالسة، وأولهم الإله أوزوريس. ويتضح من صلوات أخناتون، أنه أضفى على الإله أعلى الصفات التي ارتقى إليها فهم البشرية قديما في إدراك الإله بكماله. ومن صفات أخناتون كما يرد في النصوص المكتشفة أنه الحي المُبدِئ للحياة. الملك الذي لا شريك له، في الملك، خالق الجنين وخالق النطفة التي ينمو منها الجنين، نافث الأنفاس الحية في كل مخلوق، بعيد بكماله، قريب بآلائه. تسبح باسمه الخلائق على الأرض والطير في الهواء. وترقص الحملان من مرح في الحقول. فهي تصلي له وتستجيب لأمره، ويسمع الفرخ في البيضة دعاءه، فيخرج إلى نور النهار واثبا على قدميه. قد بسط الأرض، ورفع السماء واسبغ عليها حلل الجمال. وهو ملئ البصر وملئ الفؤاد، وهو الوجود وواهب الوجود. وشعوب الأرض جميعها عبيده لأنه هو الذي أقام كل شعب في موطنه، ليأخذ نصيبه من خيرات الأرض، ومن أيام العمر في رعاية الأحد آتون)[1]

وقد رأى بعض الباحثين الغربيين، أن عقيدة أخناتون القريبة من التوحيد كان

---

(1) عباس محمود العقاد. الله في نشأة العقيدة ص 69 ـ 70 ـ سبق ذكره.

لها أبعد الأثر في عقائد العبرانيين، وهذا ما يمكن مناقشته في ما يلحق من فصول.

وتبرز لنا عقائد الفرس القديمة كإحدى أهم المجموعات العقدية الهامة فيما قبل الميلاد، وكان لها تأثير واضح، وانتشار لدى الشعوب الآرية.

ولعل العقيدة الزرادشتية من أهم العقائد البارزة في فارس القديمة. فزرادشت الذي يعتبر أكبر مبشر فارسي بعقيدة واسعة الانتشار، يعود تاريخه حسب أكثر المصادر إلى حوالي منتصف القرن السابع قبل الميلاد، أو بحدود عام 628 إفرنجي ق.م. وما يميز الزرادشتية، أن مبشرها لم يدَّعِ الألوهية إنما كان داعيا.

وتتجلى الألوهية عند زرادشت بأن الله هو السيد المهيمن الحكيم ـ أهورا مزدا ـ خالق السماوات والأرض، وهو الأول والآخر. ومع ذلك أيضاً هو الصديق الذي دعاه منذ البداية. ولا يمكن أن تكون لله علاقة بالبشر. فروحه المقدسة هي التي تقيم الحياة، وتخلق الرجال والنساء.

وتعارض الروح الشريرة، أو القوة المدمرة التي تتسم بالنوايا الشريرة والتكبر والكذب[1].

غير أن المدقق في طبيعة العقيدة الزرادشتية يرى أن داعيها يقول بوجود إلهين وليس إلها واحدا. فيرى أن اهورامزدا هو توأم الإله الآخر المدعو أهرمان ويقول: على البشر أن يختاروا بين هاتين القوتين المتعارضتين أو بين التوأم من الآلهة.

ولكن زرا دشت يرى أيضاً أن الصراع بين الخير والشر، أي بين اهورامزدا وأهرمان ليس أبديا، إذ سوف تأتي لحظة التحول الأخيرة في العالم، عندما يلتحم جيشا الخير والشر. ونرى أيضاً أن الزرادشتية تُدخل النار في مسائل العقيدة. فعند الالتحام بين الخير والشر فإن على البشر أن يخضعوا للاختيار العظيم عن طريق النار. ويرى زرادشت أن طقوس النار القديمة هي رمز النور والقانون الكوني للإله فاستخدمها في صلواته.

---

(1) جفري بارندر. المعتقدات الدينية لدى الشعوب. ص 116 سبق ذكره.

وللزرادشتية كتاب مقدس يدعى الأبستاق (AVESTA) وقد دون على أقرب وجه في القرن الخامس الميلادي، أي بعد انتشار الزرادشتية بألف عام. وهذا ما يذكرنا بتدوين كتاب التوراة الذي لم يتم إلا بعد النبي موسى عليه السلام بسبعمائة عام على الأقل.

وترى تعاليم زرا دشت أن النظام أو المبدأ، هو ما نراه في السماوات والأرض، وهو ما يجعلنا نتعرف على الوجود غير المتناهي للإله القادر على كل شيء. كما يجعلنا نؤمن به، والحياة هي التي تعلم أن الله هو الموجود الأعظم، والأفضل والأسمى، من حيث الفضيلة والاستقامة والخير. والله لايمكن أن يكون مسؤولاً عن الشر، لأن الشر جوهر مثله مثل الخير، وكل منهما يرجع في النهاية إلى سبب أول هو الله من جهة، والشر من جهة أخرى.

وكأي عقيدة وثنية أسطورية ترى الزرادشتية أن لله كماللشيطان أتباع وقوى، فمع الله ملائكة ستة مقربون، يجلسون أمام العرش، ومكلفون بحراسة العناصر التي يتألف منها العالم. وهناك أيضاً ملائكة آخرون أقل مرتبة وبمقابل هذه القوى توجد قوى شريرة، معاونة للشيطان، الذي يمثل الشر وتقوم بنشر الجوع والمرض والعطش والفوضى، والأفكار الشريرة، والعصيان والارتداد عن الدين.

ويعتقد أتباع هذه العقيدة أن بهرام هو النيران الرئيسية، أو ملك النيران الذي يتوج ويوضع على العرش، ولا يكتفي بتنصيبه فحسب. كذلك فلديهم الإله المدعو ـ هوما ـ ويرمز للأرض (وفي طقوسه يسحق الإله، ومن العصير يستخرج شراب الخلود. وفي هذه القرابين الخالية من الدماء يكون القربان في آن معاً هو الإله والكاهن والضحية. ويقوم المؤمن بالتهام هذا القربان الإلهي مستبقاً بذلك القربان الذي سيقام في نهاية العالم ويجعل جميع البشر خالدين)[1].

وقد حفلت عقائد الفرس بديانات أخرى، أقل أهمية وانتشاراً من

---

(1) جفري بارندر. المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص 122 – 123 سبق ذكره.

الزرادشتية فنجد مثلاً الديانة الزرفانية، وزرفان هو إله الزمان المتناهي، والقدر المسيطر الذي يؤثر من بعيد في مصائر البشر. والزرفانية عقيدة معدلة عن الزرداشتية بعد أن طوَّرها كهنة النار، لتصبح تعددية، لم تقتصر على إله واحد. لكن الملفت للنظر في هذه العقيدة أن الإلهين أهورامزدا وأهرمان توحدا في إله واحد ولكن لزرفان أربعة وجوه، وترمز هذه الوجوه أو الصفات إلى الإنجاب والميلاد، والشيخوخة، والعودة، إلى اللامتناهي. ففي الواحد نجد جميع مظاهر الحياة. النور والظلمة والحرارة والبرودة. وترى الأسطورة المرتبطة بهذه الديانة أن زرفان أنجب الإلهين أهورامزدا وأهرمان. وترى الأسطورة الفارسية أن أهرمان كان الأول في الدخول إلى العالم، ولهذا السبب حكم لمدة تسعة آلاف عام، أما أهورامزدا فقد أُعطِي سلطة الكهنوت والنصر النهائي[1]

ومن العقائد العقيدة المترية. وقد عبد الإله مترا في إيران كإله للعقود والاتفاقات. ومن مهماته حفظ الحق والنظام والقضاء على القوى المفرقة. قوى الشر والغضب والجشع والتكبر، والمماطلة وجميع الأشرار من الآلهة والبشر. ويوصف بأنه محارب جبار، وهو الذي يتعبد له المحاربون، وهم على ظهور جيادهم، قبل ذهابهم إلى المعركة. وبوصفه حارساً للحقيقة، فهو قاضي الأرواح بعد الموت.

ومن العقائد الفارسية عقيدة أتباعها قليلون، ويطلق عليهم (النازوريون) وهم متواجدون جنوب العراق بجوار إيران، ويصفون المطلق بأنه الكائن الأعظم الذي لا شكل له، ويلقبونه بملك النور وسيد العظمة. وهو يقاتل ضد مملكة الظلام. وقد تم خلق العالم عن طريق فيوض صدرت عن ملك النور.

ومن العقائد أيضاً عقيدة المانديين التي تختلط بالفلسفة، فيرى أتباعها أن الروح شعاع من النور سجين المادة، منذ بداية الخلق. وعلى حين أن البدن خلقته الكواكب فإن الحياة والتنفس جاءا من عالم النور، غير أن الروح لا تتخلص من

---

(1) جفري بارندر. المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص124 سبق ذكره.

أسر البدن عن طريق خضوع هذا الأخير وإذعانه. ويرون أن الكواكب والنجوم هي التي تعرقل تحرر النفس.

ويدعي أتباع المائدية أنهم من سلالة يوحنا المعمدان، ويعتقدون أن أسلافهم فروا إلى بارثيا شمال إيران عندما سقطت القدس بيد المسيحية الرومانية. ومن الطبيعي أن نلاحظ هنا أنهم نسبوا أنفسهم ليوحنا المعمدان الذي هو يحيى عليه السلام. ومعروف لدى العقائد المسيحية والإسلامية والوثنية الرومانية أن يحيى قتله اليهود بالتعاون مع الرومان الوثنيين وهو شاب لم يُنجب. ثم هناك ملاحظة هامة وهي أنهم يدعون انتسابهم إلى سكان (القدس). وبمعنى آخر فإنهم من بقايا اليهود الذين سبوا إلى العراق أو أنهم من بقايا سكان القدس الذين سُبوا إما أيام العصر البابلي أو أيام الامتداد الفارسي ق.م.

ولعل المانوية من العقائد التي انتشرت بشكل قوي في فارس وامتدت إلى آسيا عن طريق الهند وقد وجد ماني أيام الحكم الساساني الفارسي. وادعى أنه جاء ليتمم عقيدة زرادشت وبوذا والمسيح. ومعروف أن ماني ولد عام 216م أي بعد ميلاد المسيح.

أما بالنسبة للإله في عقيدة ماني، فقد وحد هذا الداعي آلهته بوصفه رسول النور مع آلهة المستمعين له، فهو اليسوع في أتباع اليسوعية وهو الإنسان الأول أهورامزدا عندما يخاطب أتباع الزرادشتية. وقد كان ماني يكره آلهة العهد القديم والله في نظره أب العظمة ولكن هناك من يعارضه وهو إله الظلام. والإثنان عنصران أوليان. والعالم مخلوق من أجساد حكام الظلام. والموت هو عدو والملفت للنظر أن ماني حرّم الأوثان، لكنه كان يؤمن بالقيمة التربوية للفن. وقد طور الكهنة المانوية كما طوروا الزرادشتية. فقد فرض على أتباع المانوية العشر في أموالهم، والصلوات الأربع في اليوم والليلة، والدعاء إلى الحق. وترك الكذب والقتل والسرقة والزنا، والبخل والسحر وعبادة الأوثان.

ويعتقد أتباع المانوية أن أول من بعث الله تعالى بالعلم والحكمة آدم أبا البشر

ثم بعث شيثا ثم نوحا بعده، ثم إبراهيم عليه السلام ثم بعث (بالبدارة) إلى أرض الهند. وزرادشت إلى أرض فارس. والمسيح كلمة الله وروحه إلى أرض الروم والمغرب وبولس بعد المسيح إليهم.

وما يزال أتباع المانوية موجودين في بعض أجزاء الهند وتايلاند. وقد احتفل بعيد مولد ماني في تايلاند في السادس عشر من الشهر التاسع أيلول، من العام 1997. وقد نقلت محطات التلفزة أخبار هذا العيد.

وأغرب العقائد في بلاد فارس العقيدة المزدكية. فهي لا تختلف من حيث إيمان أتباعها بإلهين، إله النور وإله الظلام (ولكن مزدك نهى عن المباغضة والقتال، ولما كان ذلك يقع بسب النساء والأموال، فقد أحل ماني النساء وأباح الأموال وجعل الناس شركاء فيها ومذهبه في الأصول والأركان ثلاثة. الماء. والأرض. والنار. ولما اختلطت، حدث عنها مدبر الخير ومدبر الشر. فما كان من صفوها، فهو مدبر الخير، وما كان من كدرها فهو مدبر الشر)[1].

وترى المزدكية، أن الله قاعد على كرسيه في العالم الأعلى على هيئة قعود (خسرو) في العالم السفلي. وبين يديه أربع قوى. قوة التمييز، والفهم، والحفظ، والسرور. ومن بين العقائد الفارسية العقيدة الديصانية. وهي في جوهرها لا تختلف عن الزرداشتية والمانوية. وقد تفلسف أتباعها في المقارنة بين النور والظلام. وأدخلوا في معتقداتهم أساطير عن الخلق والصراع بين إلهي الخير والشر.

مفاهيم الألوهية في العقائد الهندية والصينية واليابانية

تعتبر الهند فسيفساء العقائد والديانات. فهي لكبر مساحتها، وتنوع الأجناس والعروق فيها. وبسبب موقعها الجغرافي تأثرت وأثرت، خاصة في العقائد والمعتقدات ويجمع الباحثون وعلماء الأنثروبولوجيا (علم الإنسان) أن الهند من

---

(1) الشهرستاني. الملل والنحل. ج 1 ص249. دار المعرفة بيروت ط2 1975.

أقدم الحضارات في العالم، وشعوبها من أقدم شعوب العالم. وقد حصر العلماء أكثر من ستين عقيدة وديانة في شبه القارة الهندية. غير أن بعض الديانات سيطرت بشكل واسع، وانتشرت حتى خارج الهند نفسها، لما حوته من تعاليم معقدة وواسعة، ولما لها من تميز على غيرها. ومن أشهر ديانات الهند الديانة الهندوكية البراهمية، والديانة البوذية، والإسلام، والجانتية، والسيخية. وباعتبار أن المسلمين ينتمون إلى عقيدة عالمية لها ارتباط بالقرآن الكريم فلن نتحدث عنها. وسنحاول إلقاء الضوء على مفهوم الإله في البراهمية والبوذية والجانتية والسيخ على اعتبار أن هذه هي العقائد القديمة والمستمرة في الهند. ففي البراهمية تتجلى صفات الخالق من خلال نصوص (اليوبانشاد) وبعض الكتب القديمة وفي أحد هذه النصوص يقول براهما: (أنا أقوى من السماء وأعظم من الأرض، وأرفع من كل هذه الأجرام، والكواكب حولي. أنا أعلى من جميع هذه الأشياء، أنا الكل في الكل، أفعل ما أريد وأخلق كل ما يخطر لي، أنا جوهر هذا العالم الواحد الشامل، لست بالذكر ولا بالأنثى. إنما أنا روح غير مشخَّص في صفاته، أحتوي كل شيء وأكمن في كل شيء. لا تدركني الحواس لأني أنا حقيقة الحقيقة أنا براهما.)[1].

وتقول كتب العقيدة البراهمية: إن براهما خلق جسما عملاقا، وشقّه نصفين، نصف لرجل ونصف لامرأة. وعلى اعتبار أن العقيدة البراهمية اعتمدت تقسيم الناس إلى طبقات، فرأت أن أي إنسان خيِّر، سينتقل بعد موته، إلى الطبقة الأعلى من طبقته، وإذا كان شريرا، فسينتقل إلى طبقة دون طبقته بعد موته وهذا هو مبدأ التناسخ في العقيدة البراهمية. وترى هذه العقيدة، أن الروح الخيرة تصل أخيرا إلى روح براهما، لتتحد معها. وهذا ما يسمى بالهندوسية بالنيرفانا.

غير أن تطور العقيدة الهندوسية، يدل على ابتداع هذه الديانة صورا أخرى للإله براهما. وقد أضفى أتباعه عليه صورا ثلاثية الأوجه في إله واحد. وهذا الإله

---

(1) اسماعيل مظهر: قصة الديانات ص 68.

ثلاثة في واحد، يسيطرون على الكون. وهم براهما الخالق، وفشنو الحافظ، وسيفا المدمر. وبراهما سيد الجميع، وهو القوة الخالقة للطبيعة. أما فشنو فهو إله الحب، ويساعد البشر في شفائهم من الأمراض. أما شيفا فعبادته من أقدم وأبشع العناصر التي تتألف منها العقيدة الهندوكية. وهو إله القسوة.

ويرى الكثير من الباحثين في عقائد الشعوب، أن الهندوسية جاءت قبل بروز المسيحية بحوالي ألف سنة. وقد بلغت أعداد المعبودات في هذه العقيدة حدا قد يصعب حصره. فالإله فشنو أو سيفا أو الإلهة شاكتي، لها تجسيداتها وخدامها من آلهة صغار أو آلهة أبناء للإله الأكبر وزوجته. ومن هذه الآلهة درجا وسكاندا وجانيشا. ويرى هؤلاء الباحثون أن الريج ـ فيدا ـ Rig-vida ـ هي عبارة عن مجموعة تراتيل دينية براهمية، وهي أقدم وثيقة دينية مكتوبة في العالم. وهذا ما ينفي كون التوراة أقدم كتاب ديني دوّن في التاريخ. لأن الفيدا ذات تعاليم قديمة جداً، وهي أسبق من أتباعها بزمن طويل.

وقد وجدت لهذه العقيدة آلهة فرعية كثيرة، أو تحولت شخصية بعض الآلهة إلى آلهة أخرى. فإله السماء ينقلب إلى الإله إندرا، وهو إله الحرب وملك الآلهة، وهو يركب السماء على رأس جيشه من (الماروث) وهم آلهة العاصفة الأقل شأناً، وهو هنا يرتبط بالبرق بصفة خاصة. سلاحه الذي مزق بطن التنين ـ فريترا ـ عندما أعتق هطول المطر الذي يبعث الحياة.)[1].

إن هذه الصفات تذكرنا بالإله الكنعاني ـ بعل ـ إله البرق والعواصف. وتذكرنا أيضا بالإله التوراتي الذي قتل التنين ـ لوياثان ـ وبالإله مردوك، الذي قتل تعامت من أجل إنشاء الحياة، وبعث المطر وإخصاب الأرض.

ولدى البراهمة آلهة للشمس، وهي كثيرة منها ـ سريا وهي تقود عربة نارية بعجلة واحدة تجرها سبعة جياد. وهذا يذكرنا بعربة آلهة الشمس عند المصريين.

---

(1) نقلا عن احمد شبلي. مقارنة الأديان. أديان الهند الكبرى ص 37.

ولديهم أيضا الإله آجني وهو إله النار. وهو الذي يحمل القرابين المحترقة إلى الآلهة. ومن الآلهة أيضا الإله ـ فارونا ـ والإله مترا والإله ياما والإله رودرا.

ونلاحظ أن الهندوسية تعج بالآلهة، وينسبونها جميعا إلى الإله الأكبر براهما. وقد جسد الهندوس جميع هذه الآلهة بأصنام تمثلها.

والواقع أن العقيدة الهندوسية تتنوع وتتفرع. ويرى الباحثون أنها خليط من العقائد. تبدأ من عبادة الحشرات وبعض الحيوانات كالبقرة والثعبان وتنتهي عند براهما.

وتدخل الأسطورة في العقيدة البراهمية بشكل أساسي. فتتوزع الآلهة حسب المناطق، وحسب الأعمال، التي تناط بهذه الآلهة. فلكل منطقة إله ولكل عمل أو ظاهرة إله[1]. وتأتي العقيدة البوذية لتصحح كثيرا من تعاليم الهندوسية. وقد ظهرت البوذية في القرن السادس قبل الميلاد. ويرى الباحثون أن بوذا لم يطرح في فلسفته نظرية محددة عن الله. حتى بدا أحيانا أن بوذا اتجه لنكران الله مما أدى إلى نكران براهمة عصره له واتهامه بالإلحاد والكفر.

والأيمان بإله إتجاهٌ نفسي قوي لا يقل عن قوة الغرائز في البشر. وإهمال هذا الاتجاه يحدث ارتباكا واضطرابا. من أجل هذا نجد أتباع بوذا من بعده يفكرون في الإله، ويعملون للوصول إليه أو التعرف عليه. ولما كان بوذا قد ترك هذا المجال خاليا، فقد لعبت بهم الأهواء، فاتجه بعضهم إلى الاعتقاد، أن بوذا ليس إنساناً محضاً بل إن روح الله قد حلت فيه. وهذه العقيدة تشبه عقيدة الحلول التي يعتنقها بعض المسيحيين ويعتقدونها في السيد المسيح عليه السلام[2].

والواضح أن تطور العقيدة البوذية، لم يعفها من الاندماج بالهندوسية، لاسيما في الهند. فبوذا تصنع له التماثيل الضخمة بالمئات. وهذا يعني أن البوذية انقلبت من تعاليم فلسفية وأخلاقية إلى عقيدة وثنية.

---

(1) نقلا عن احمد شلبي. مقارنة الأديان. أديان الهند الكبرى. ص 38.

(2) احمد شلبي: أديان الهند الكبرى ص 172.

وانقسمت البوذية إلى فرق، تختلف في نظرتها للذات الإلهية. ومن هذه الفرق فرقة تقول: بوحدانية الله. وأخرى تقول أن الله أودع الأرواح التي أرسلها بالخير والشر. وفرقة ثالثة ترى أن الله يفرغ الكلمات الإنسانية في كل زمان على إنسان يتجرد لعبادته، ويبتعد عن إرضاء الشهوات الحيوانية. وتقول فرقة رابعة بأن الله يحل في أية صورة يختارها من صور أفراد الإنسان، حلول تطهير وتكميل، لاحلول استقرار. وكل الفرق تتفق على التناسخ وارتباطه بما يسمى ـ الكارما ـ.

أما فيما يتعلق بالإله نجد الفكر الهندي يتراوح بين التعدد والإنكار والإهمال، والعجيب أن موقف الجينيين والبوذيين من الاعتراف بالإله كان رد فعل لتصرف طبقة البراهما، واستبدادهم. فخاف البوذيون والجينيون أن تتكون عندهم طبقة لاهوتية كالبراهمة إن قالوا بالإله، فأنكروه أو أهملوا الكلام عنه لهذا الغرض[1].

وقد انتشرت عقيدة جديدة في الهند، هي عقيدة السيخ التي تعتبر خليطا من العقائد الهندية الكبرى بما فيها الإسلام. ولديهم أهم مصطلح هو (تذكر اسم الله) (نام سامیران) ويعنون به النحو نحو الله والنحو في الله.

وهي عملية متدرجة شبهها معلمهم (ناناك) بسلسلة من المراحل الصاعدة، وخامس هذه المراحل وآخرها هي المسماة: عالم الحقيقة. وهي الإتمام النهائي، أو الإنجاز الأخير حيث تجد الروح اتحادها الصوفي بالله. وفي هذا الوضع الذي تشعر فيه بسعادة لا يمكن وصفها تتنسخ أغلال التناسخ. وتبلغ الروح مرحلة الانعتاق المطلق باندماجها في الله)[2].

وتعتبر الصين من أقدم الحضارات التي وجد فيها الإنسان. وقد تشعبت

---

(1) أحمد شلبي: أديان الهند الكبرى ص 172، ص201.

(2) جفري بارندر المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص 250 سبق ذكره.

عقائدها بقدر مساحتها وعمق حضارتها. وتطورت هذه العقائد عبر التاريخ.

عبد الصينيون القدماء مظاهر الطبيعة خوفا منها. فعبدوا الريح والرعد والأشجار والجبال، وآمنوا بأن لكل من هذه المقدسات روحا يجب أن تعبد.

ومع تطور عقائدهم آمنوا بوجود حاكم أعلى واحد، فوق كل الأديان، وفوق كل الناس يدعى ـ شانج تي ـ وهو القوة العليا المسيطرة على العالم. وقالوا إنه عادل لدرجة أنه مهما صلى له الأشقياء فلن يقبل العفو عنهم. غير أنهم اعتقدوا أن هناك إلها هو سيد كل الآلهة إله اسمه ـ تيان ـ أي إله السماء. وهو بنظرهم رب الأرباب الذي يأتي بالمطر والريح والرعد، وهو موجود في السماء.

ومنذ عام 2500 يظهر الحكيم كونفوشيوس أي قبل الميلاد بـ 550 عاما تقريبا. ركز جل اهتمامه على الحكمة والمعاملات الخلقية بين الناس. وقد اعتبر بعض الباحثين مذهبه ليس عقيدة، أو دينا، باعتبار أنه لم يتحدث عن الإله. إنما قصر كلامه على الحياة وفلسفتها. واعتبرها بعضهم مذهبا إنسانيا. بمعنى أنه أول إنساني ظهر في العالم. وأساس تعاليمه ألاّ يعتمد الإنسان على أي كائن علوي أو أية قوة غير منظورة. يطلب منها العون، والتوفيق في حياته.

إلا أن عقائد بعض الصينيين لم تكن عقائد حكيمة، ولم يظهر فيها أي أثر للمعبود الإله. بل راحوا يؤمنون بالشياطين والمردة والجن، ومصاصي الدماء والغيلان، وكل أرواح الشر، حتى أنهم لحقوا أتباع الكونفوشوسية، فقال بعض حكمائهم: لا حاجة بالناس أن يشغلوا أنفسهم بالله في سمائه أو بالحياة الأخرى. وتسمى هذه العقيدة بالداوية. أتباع الحكيم ـ لاوتسي ـ الذي أصبح لدى الداوية مع مرور الزمن إلها يعبدونه. وأحاطوه بالأساطير. فقالوا إن أمه ولدته ولادة سماوية. ويقولون حسب أسطورتهم، إنه مكث ثمانين عاما في بطن أمه.

والمطّلع على عقائد الصينيين، يجد أن الطبيعة هي الأساس الأول في عقائدهم. ثم يأتي في المقام الثاني الحكمة والفلسفة والعلم. وبشكل عام لا نجد للإله

صدى في عقائدهم، كما في الهند. ومن الملاحظ أن البوذية كعقيدة، دخلت الصين واتبعها الكثيرون من أبناء الصين الذين كانوا يتبعون الداوية والكونفوشيوسية.

وإذا رحنا نتفحّصُ طبيعة المعبود في العقائد اليابانية وجدنا اليابانيين آمنوا أولا بأن السماء هي أساس الوجود. وأهم عقائدهم عقيدة الشنتو المستندة على عقائد الأديان بكل أشكالها الخيرة والشريرة.

وعبادة الأسلاف أساس في هذه العقيدة. ويعتبرون أن هؤلاء آلهة أسسوا الدولة، وأقاموا بناءها. ولذلك نراهم يعبدون الإمبراطور ـ الميكادو ـ إذ أنهم يرونه ليس بشرا، بل له سمات الإله. وهو أقرب للشمس والقمر وجبل فوجي المقدس. وهو كائن لابدّ أن يعبد.

وترى العقيدة اليابانية أنه في البداية كانت الآلهة، وكانت تلد ذكرا وأنثى ثم تموت حتى حدث في النهاية، أن أصدر شيوخ الآلهة أمرهم إلى إلهين شابين هما (إيزاناجي) و(إيزانامي). بأن يخلقا الأرض ويقيما عليها الحياة. وتقول الأسطورة الشنتية إن إيزانامي أنجبت بنتا. أما تيراسو وهي ربة الشمس قد أمرها أبوها أن تسير إلى السماء، ثم تعطي نورها للأرض والبشر. ثم أنجبا إلها جديداً إسمه (تسوكي يومي) وهو إله القمر، الذي أرسله أبواه على قوس قزح، ليستقر هو أيضا في السماء ثم أنجبا إلها للعواصف وإلها للنار، وجرى صراع بين الآلهة والأبناء، وانتهى الصراع بانتصار آلهة الشمس.

ويعتقد اليابانيون أن الإمبراطور هو حفيد آلهة الشمس (أماتيراسو) ولذلك يجب حبه وطاعته، والانتحار لأجله إذا ما حاول أحد المساس به.

وإذا تأملنا عقيدة الشنتو، وطبيعة الآلهة فيها، وجدنا اقترابها من عقيدة السومريين والبابليين خاصة بتعدد الآلهة والصراع الذي دار بينهم وانتصار أحدها على الجميع، ولهذا فإن اليابان تختلف في فهمها لطبيعة الآلهة عن الصين، التي ركزت عقائدها مع عبادة الطبيعة وحب الحكمة والعلم.

وقد دخلت عقيدة البوذية إلى اليابان، كما دخلت الكونفوشوسية. وأصبحت عقائد اليابان، خليطا من هذه العقائد، على الرغم من أن احترام العقيدة الأساسية ظل قويا عندهم.

بين عقائد الشعوب والرسالات

يطلق المسلمون وباحثو عقائد المنطقة العربية، اسم الرسالات السماوية على العقيدة اليهودية، والعقيدة المسيحية، والعقيدة الإسلامية، على اعتبار أن أنبياء هذه الرسالات، بلّغوا الدعوة من قبل رب العالمين عن طريق الوحي.

وقد أصبحت التسمية علماً على مسمى، للتمييز بينها وبين عقائد الشعوب الوثنية والشعوب الأخرى البعيدة عن الحوض العربي.

وقد امتازت العقائد السماوية بالدعوة إلى التوحيد، وعدم الإشراك بالله، وامتازت أيضاً بأنها استندت على رسالة سماوية، أي كتاب مقدس هي التوراة الأصلية التي نزلت على موسى عليه السلام، والإنجيل كما نزل على عيسى عليه السلام، والقرآن الكريم الذي نزل على قلب رسول الله ﷺ.

والواقع أن هناك إشارات واضحة لبعض الكتب الأخرى والصحف التي نزلت على أنبياء التوحيد في المنطقة. فقد أنزل الزبور على داود عليه السلام، وأشار القرآن الكريم إلى صحف أنزلت على النبي إبراهيم عليه السلام.

غير أن كافة المصادر الإسلامية وغيرها، لم تُشر إلى أن الزبور كتاب تشريع كما التوراة أو القرآن الكريم.

والواقع أن التوراة التي بين أيدينا اليوم تضم ما يسمى بالمزامير. وتنسب في غالبيتها لداود عليه السلام. وهي كما هي عبارة عن أدعية، وتعبير عن أحداث ومواقف جرت مع النبي داود عليه السلام، ويجمع الكثيرون على أن هذه المزامير هي ما يسمى بالزبور. وليس هناك أي مصدر آخر لهذا الزبور أو لهذه المزامير

سوى التوراة التي بين أيدينا.

وتاريخياً فقد سبق النبي موسى عليه السلام، نزول الإنجيل والقرآن الكريم.

والواقع أن جوهر العقائد الثلاث هي التوحيد، والإيمان بالله المجرد المنزه، والمطلق أما ما جرى من تحريف للتوراة، فهو لاحق على نزوله المبدئي الأولي الذي تلقاه موسى عليه السلام. وهذا التحريف، هو الذي لحق نزوع بني إسرائيل لعبادة الآلهة الوثنية التي كانت لدى شعوب المنطقة آنذاك.

وإذا ما قارنا بين عقائد الأمم والشعوب، وبين الرسالات السماوية، وجدنا أنه لا بد من القول: إن الإنسان بفطرته ينزع إلى المعبود. الأعلى والأكمل. ولكن مسار العقل البشري يدلنا على تنوع في التصور لهذا المعبود. وطبيعة العلاقة به، ومن ثم لا ننكر أن هذا النزوع إلى الأكمل، خالطه حب معين لتجسيد المعبود، واستحضاره أمام العين بأشكال وثنية، أو رسوم أو رموز موحية للإله.

على أن ذلك التطور أو الانحراف، لا يلغي أن السماء هي الأساس في العقيدة. ولو حاولنا تبسيط الموضوع أكثر، نرى أن الإنسان العاقل الأول ـ آدم ـ إختاره الله ليكون أول نبي موعود على الأرض. وبغض النظر عن وجود نظريات عدة ترفض كون آدم أول مخلوق بشري ـ إنسان ـ إلا أن آدم جسَّد الإنسان العاقل المفكر. ولهذا كانت الحكمة الإلهية في اختياره ليكون نبياً، وأول نبي يدعو إلى عقيدة التوحيد. لقد كانت صلة آدم العاقل بالسماء أولاً، وليس بالأرض. وتلقى التعاليم التوحيدية من خالقه، إما عن طريق الوحي أو أي طريق إلهي آخر.

يقول تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 37]

وهذا ما كان من شأن أول إنسان عاقل أو من شأن أول نبي على وجه الأرض. إذا فالبداية كانت السماء. والبداية كانت بالتوحيد.

ولعلنا ونحن نتعرف على عقائد الشعوب ودياناتهم، نجد أن الأساس في

كافة العقائد، هو الشعور بالحاجة إلى قوى عظمى. وهكذا يجب أن تكون هذه القوى حتى تصبح معبودات، والطبيعة البشرية نزّاعة دوما إلى إقامة علاقة ما، بينها وبين قوى خارقة ليست فيها صفات البشرية. إنما فيها صفات خرق النامّوس البشري الأرضي المتعارف عليه. ولكن الواقع يقول لنا: إن التجسيد لهذا المعبود نشأ أيضاً من حاجة هذا الإنسان ليرى معبوده، لتكن الصلة صلة مشاهدة محسوسة وليست صلة وعي داخلي فحسب، وهذا ما نجده في عقائد البوذيين والبراهميين وحتى الوثنيين العرب وغيرهم من أصحاب العقائد الأخرى. يقول الدكتور محمد جمال جعفر: (فالعقيدة في إله أو قوة فاعلة مؤثرة تتعالى وتسمو على الكون والطبيعة، جزء حيوي يشكل الأساس لكل دين على وجه الأرض، سواء أكان في حالة بدائية أو في حالة متطورة)[1].

ويقول أيضاً: فلا يعقل مثلاً أن ينحت إنسان حجراً، أو يصنع شيئاً بيده، ثم يعتقد في نفس الوقت أن هذا الحجر، وهذا المصنوع يعلوه ويحكمه ويخضعه ويدبر أمره ويسير حياته، ويفرض عليه عبادته، لأن صفات الحجر من البداهة والعفوية ما ينفي ذلك[2] على أي حال فإن الديانات السماوية ـ أي الديانات التي مصدرها الأساسي السماء ـ نادت بالتوحيد والتجريد. على عكس العقائد الأخرى التي جعلت للإله عدة وجوه، إضافة إلى أنها جسمت المعبود، ورمزت له بصور على الغالب هي صور آدمية، وأحيانا بصور حيوانية مثل بوذا وبراهما وبعل ومردوخ. ومثال الصقر والأفعى والتمساح وما إلى ذلك.

وعلى الرغم من أن اليهودية في أساسها سماوية، وعلى الرغم من أن موسى عليه السلام تلقى تعاليم العقيدة من الله سبحانه، وأوضح لليهود طبيعة الله الفرد المنزه وغير المجسم، إلا أن أتباع هذه العقيدة لم يصلوا بوعيهم إلى القناعة بهذه الوحدانية وهذا التنزيه.

---

(1) محمد كمال جعفر. الإنسان والأديان ص33، ص 26.

(2)محمد كمال جعفر. الإنسان والأديان ص 26.

(ولكنهم أظهروا بلا شك عدم قناعتهم بعبادة من لا يرون ولا يلمسون. ولذا تراهم يسألون موسى كما يقول القرآن الكريم. وكما تتحدث التوراة أن يريهم الله جهرة فلما ردعهم موسى عن ذلك، رجوه أن يجعل لهم إلهاً يماثل آلهة القبائل التي كانوا يمرون بها. وهي بالطبع تماثيل تحاكي الإنسان حينا وتحاكي الحيوان أحياناً)[1].

ونعود لما قلناه لنرى أن بعض التقاطعات، قد تحدُثُ بين رسالة سماوية وبين ديانات غير سماوية. فنرى مثلاً أن أحد أوجه المعبود في العقائد غير السماوية قوة الخلق. أي أن هذا المعبود هو خالق بدأ الكون منه. فهو الذي خلق الكون والإنسان والحيوان وما إلى ذلك. وقد نرى أيضا تقاطعا في بعض التعاليم، كالدعوة للخير والمحبة والتفكير، وبناء الإنسان من داخله بناء مستقيما.

ولكن الاختلاف الجوهري في مسألة التعدد والتجسيم. فالرسالات السماوية، لا تعدد ولا تجسم في جوهرها. فالله عند اليهود يرتبط بالجوهر كما يقول هيغل، والله مجرد (وهذا التجريد أو انعدام التمايز، يعني أن هذه الشخصية عبارة عن واحد لا ينقسم. ومن ثم فالله واحد. لكنه ليس الواحد اللاشخصي الهندي. وهو وحده الحقيقة المستقلة، إن على الإنسان أن يمجد الله وأن يعرف قدر نفسه وعدميتها. وما دام الوعي المتناهي لا يستطيع أن يصمد أمام الله فليس له الحق في الوجود وإنما وجوده بفضل من الله ومنه.. ولهذه الأسباب كلها نجد أن موقف الإنسان تجاه الله بالضرورة موقف الخوف والخشية)[2]. ولا بد من الإشارة أيضا إلى أن تطور مفهوم المعبود عند بعض الفئات الدينية، لم ينبع من الخوف والخشية.. إنما ينبع من المحبة والاحترام للذات الإلهية.

وقد تندمج المحبة بالخشية، ويندمج الجلال والاحترام، لتشكل جميعها نظرة

---

(1) محمد كمال جعفر. الإنسان والأديان ص 28 سبق ذكره.

(2) ولترستيس. فلسفة هيغل. فلسفة الروح. ترجمة د. إمام عبد الفتاح إمام ص 192 ـ 193 . 7

تكاملية لدى الإنسان تجاه المعبود. فالمعبود يستحق المحبة لأنه رحيم بعباده. ويستحق الخشية لأنه العظمة المطلقة. ويستحق الاحترام، لأنه الخالق الواهب العادل. ويستحق الجلال لأنه غير المحدود، وغير المتناهي والخالق كلَّ شيء من غير شيء.

وطبيعي أن هذه الصفات، تنحصر حتما بالإله الذي تعارفت عليه العقائد السماوية في جوهرها. أما كيف فهم أتباع اليهودية طبيعة هذا الإله فذلك ليس مرده جوهر العقيدة. إنما هو عائد إلى طبيعة الوعي والفهم لدى أتباع هذه العقيدة.

obeikandl.com